المشرق

الآداب العربيَّة في عهد الجاهلية

خطبة ألقاها الأب لويس شيخو اليسوعي مدرّس الآداب العربيَّة في المكتب الشرقيّ

أيها السادة

انَّ من يطرق سمعهُ لاوَّل مرَّة اسمُ الجاهليَّة يأخذهُ ضربٌ من الاستنكاف والنفور فيتخيَّل انَّ الاعصار التي سبقت النهضة العربيَّة انَّما كانت اَيَّاماً طبَّق عليها الجهل وخيَّم فوقها رواق الهمجيَّة فلا يرى في العرب الَّا قوماً من شذَّاذ الآفاق او لصوص البراريّ. الغزو دأبهم والنهب ديدنهم. لا ينبعث من لغتهم سوى رائحة النوق والجمال

ذلك وهمٌ استولى على ذهن بعض الذين يرون من الامور غير صفوتها فيجتزئون عن لبابها بقشرتها ولو كانوا من المنصفين لجرَّدوا نظر العقل واعملوا رائد الفكر لتمحيص الحقائق فيَبرز لهم الصريح عن جانب المَتْن

وكأني بالحضور يوقفوني هنا قبل خوضي في الميدان قائلين فما قولك اذن بالجاهليَّة ؟ أفيكون هذا الاسم بلا جسم ؟ او هو سمةٌ من العار وُسم بها قدماء العرب فلزمتهم ظلماً وقُرعت بهـا صفاتهم سفهاً وساحتُهم مع ذلك بريئة منها ؟ كلَّا ليس الامر كذلك ولولا انَّ العرب قبل الاسلام استحقُّوا من بعض الوجوه بان يُنبذوا بهذا اللقب لما عُرفوا بهِ ولا عُرف بهم. وان سأل السائل عن هذا الوجه الذي استوجب لهم تقريعَهم بالجاهليَّة اجبنـا انهُ التوثُّن وعبادة الاصنام التي شاعت في قبائل العرب اذ لم يعرفوا

الله حقّ معرفتهِ. ولنا على قولنا عدّة شواهد تبيّن انّ هذا الاسم انّما يدلُّ على جهل الله تعالى فقط لا على همجيّة فيكون نصيب العرب في ذلك كنصيب كلّ الامم المتمدّنة التي جارت عن سبيل الحقّ فعبدت الطواغيت. واذا استفتينا اهل اللغة عن معنى هذه الكلمة أيّدوا قولنا فاجابوا ان الجاهليّة أنْ يُظَنّ بالله غير الحقّ وانّها الكفر وانّها الوثنيّة وقسموها الى جاهلية أُولى والى جاهليّة ثانية ارادوا بالاولى كفر البشر من آدم الى نوح وقيل من آدم الى المسيح وخصُّوا الثانية بالعرب. قال المطرّزيّ: «دُعي جيلُهم جيل الجاهليّة لِما كان عليهِ العرب من الجهل بالله وشرائع الدين والكبر والتجبُّر». فثبت اذن انّ اسم الجاهلية محصور في الشرك والكفر ولم يُطلَق بادئ بدء الّا على القبائل التي لم تعرف الحقّ سبحانه وتعالى. واذا توسّع الكتبة بعدئذٍ فاطلقوهُ على كل العرب فما ذلك الّا على سبيل المجاز والكناية كما يُطلق اسم الجزء على الكل لملازمتهِ لهُ. لا بل وردت هذه اللفظة ايضاً بعد الاسلام بمعنى الأَنفة والكِبْر وفي كتب اللغة: انّ في فلانٍ لجاهليّةً اي تجبُّرًا وخرقًا

فان قرَّ ذلك ورسخ في عقول الحضور تمهَّد لنا المجال فنقول ان العرب بلغوا قبل الهجرة مقاماً في الحضارة قلَّما بلغهُ الشعوب القديمة. وكأني ارى السامعين يأخذهم الانذهال فيحتجُّون هنا عليَّ ويلومونني على قلّة معرفتي بالتاريخ. فاين يا ترى العرب من البابليين والمصريين واليونان والرومان والهند والصين. هب انّهم ملكوا على شبه جزيرتهم او قُل بالاحرى على صحاريهم الجرداء وباديهم القاحلة أفيجوز ان تنسب لهم مجاراة الشعوب المتمدّنة. فاين الثريّا من الثرى والدرُّ من الحَصَى

سادتي هلمُّوا بنا ننتقل على طائر الفكر الى مواطن العرب فنرى ما كانوا عليهِ في القرون الغابرة وما طرأ عليهم من الطوارئ لعلّنا نقف على شيء من مفاخرهم ثم نعود الى ذكر آدابهم التي عليها مبنى كلامنا

جزيرة العرب مربَّع مستطيل موقعهُ بين الدرجة ١٢° و ٣٥° من العرض الشمالي وبين ٣٥° و ٥٩° من الطول الشرقي تمتدُّ شمالًا من بحر المتوسط الى خليج العجم وجنوباً من آخر حدود بحر القازم الى عمان فيبلغ معظم عرضها ١١٥٠ ميلًا من الاميال الجغرافيّة ومعظم طولها ١٤٠٠ ميل ومساحتها ١,١٠٠,٠٠٠ ميل مربَّع وهي تجاور

الشام وما بين النهرين والعراق وفارس فيهـا البطون والحزون والصحارى والارياف. هناك اليَمَن الغنيَّة برافقها الشهيرة بمعادنها ذات الاراضي المخصبة والارزاق الدارَّة والحدائق الغنَّاء قد ابتنى لها ملوكها سدًّا يخزن لهم مياه الامطار والعيون في وادٍ بين جبلين بحيث تنال كلُّ جهة حاجتها من المياه في ريّها

هناك تهامة تحظى من خيرات بحر القلزم باوفر سهم واوفى نصيب. هناك الحجاز القائم بجبالهِ في وجه العدوّ كأنَّهُ سور منيع لا تقوى على خرقهِ قوّات الفاتحين حتى قال احد شعراء ذلك الزمان :

ونحن غلبنا بالجبال وعزّها ونحن ورثنا غَيْثًا وبُدَيْنا

هناك نجدٌ واراضيهِ العالية وتربتهُ الجيّدة وهواؤهُ الطيّب

سقى الله نجدًا والسلامُ على نجدٍ ويا حبَّذا نجدٌ على القرب والبعدِ

هناك اليمامة او العَروض وسهولها المتَّسعـة تتَّصل بها بلاد البحرين او الأحساء على طول الخليج الفارسي حيث مغاص اللؤلؤ الشهير

تلك هي اخصّ اقسام جزيرة العرب بيد أنَّ نفوذهم لم يقف عند هذه الحدود حتى اتَّصل بكل الانحاء المجاورة لبلادهم بل بلغ الجهات القاصية منها فصدق فيهم كلام الله الى هاجر لمَّا تراءى لها ملاك الرب فقال عن ابنهـا اسمعيل (تك ٢١ : ١٨) : « اني جاعلهُ أمَّةً كبيرة ». فانَّ الامم العربيَّة انتشرت من جهات الشمال فملكت العراق وبلغت فارس وتولَّت مـدَّةً على بابل حتى رجّح علماء عصرنا ان اوَّل ملوكها كانوا من العرب. امتدَّت في ما بين النهرين فسكنت قبائلهـا على ضفَّات دجلة والفرات وتربَّعت بديار ربيعة وديار بكر الى الرها حيث ملك منهم الاباجرة. تطالَت الى الغرب فدخلت بلاد الشـام وضربت خيامهـا في جوار حمص وحماة وحلب بل صارت هذه المدن مدَّةً تحت حوزتهم. وزحف قوم منهم الى لبنان وهم الايطوريُّون فتوطَّنوا رأس الشقعـة وجهات البترون وجبيل وتدفَّق سيلهم الى البقاع فاتَّخذوا لهم فيها المدن كعين جرّ التي غلبهم عليهـا بمبيوس القائد. وكان النبَط عربًا ملكوا على بادية الشام وبنوا المدن ومصَّروا الامصار ولا تزال آثارهم الجليلة حتى اليوم تحيّر العقول. منها الصروح والقلاع والقصور وصفهـا السيَّاح المحدثون الذين عاينوها. امَّا

تدمر فلا يجهل احد اسم زينب وبني اذينة الذين اتخذوا تلك المدينة كتخت لمملكة عظيمة الجاه واسعة الثروة

هذا وزاحم العربُ اليونان ثم الرومان في ملك دمشق ولم ينل قياصرة رومية منهم هدنةً حتى جعلوهم عُمّالًا لهم في حدود الشام وفلسطين وجلس منهم على سُدّة القياصرة فيلبُس العربي اوّل الملوك المتنصّرين. امّا جنوبي فلسطين فكثيرًا ما تعدّى العرب ثغورَ بلادهم فاحتلّوا شبه جزيرة سينا وملكوا برّيّة فاران ولم تردّهم سطوة المصريين بل بلغت بهم جرأتهم الى ان ناووا مملكة الفراعنة فدحروهم وجلسوا في دست سلطتهم كما دلّت على ذلك الكتابات الهيروغليفيّة فانبأت العلماء بعظمة دولة هؤلاء الملوك المعروفين بالرعاة الذين كانوا في أيام ابراهيم الخليل الى عهد يوسف الحسن

وممّا تفرّد به قدماء العرب انهم كانوا اذا فتح بلادهم فاتح كالبابليين واسكندر ذي القرنين والرومان استكانوا لهم قليلًا خاضعين ثمّ عادوا الى عزّهم وترى تلك الدول قد انقرضت وماتت والعرب لا يزالون في شدّتهم لم يفقر دمهم وتضعف قواهم

وان حصرنا النظر في جزيرة العرب كما كانت قبل ظهور الاسلام وجدنا فيها الممالك الزاهرة والدُّول الفاخرة. ذات الشوكة والبأس والقوّة والمراس. في جنوبها التبابعة من بني حمير رجحت كلمتهم واشتدّت سلطتهم فجيّشوا الجيوش ودوّخوا الاقطار النازحة فخفقت فوقها رايتهم ولم يفنوا حتى ابقوا لنا من مآثرهم عنوانًا منها الابنية الفخيمة التي لم تدرس حتى يومنا اطلالُها كقصر غمدان في ظاهر صنعاء كان عجيب البنيان ذا سبع طبقات حسان. ومنها كعبة نجران المعروفة بالقُلَيس. ومنها أخربة مأرب العاديّة. ومنها الكتابات العديدة بالخطّ الحميري او المسند التي استرق اسرارَها المستشرقون بما طُبعوا عليه من الجلد والثبات. وفي شمالها المناذرة الذين نشروا لواء سلطتهم في العراق واستولوا على السواد ما بين الحيرة والانبار وسائر الارياف المجاورة للبادية حيث السهول الباسقة النخل العجيبة الخصب. وبلغ مكانهم من ملوك العجم ما ادّى بالاكاسرة ان يكلوا اليهم بتربية ولاة عهدهم. ولبني المنذر ايضًا المباني العظيمة كالاديرة والبيع وكذلك القصور الفخيمة التي عدّدها المتلمّس :

ألك السدير وبارقٌ ومرابضٌ ولك الحورنَقْ
والقصر ذو الشرفات من سِنْدادَ والنَّخلُ المبسَّقْ
والعَمْر والأحْساء واللذّاتُ من صاعٍ ودَبسقْ
والثعلبيّة كلُّها والبدوُ من عانٍ ومُطْنقْ

وفي غربي الجزيرة الغساسنة بنو كهلان عملةُ الروم الذين امتدحهم النابغة حيث قال :

لا يبعد الله جيرانًا تركتُهمُ مثل المصابيح تجلو ليلة الظُّلَمِ
همُ الملوكُ وابناء الملوك لهم فضلٌ على الناس في اللأواء والنَّعَمِ
احلامُ عادٍ واجسادٌ مطهَّرةٌ من المعقَّةِ والآفاتِ والظُّلَمِ

أفترون أيها الكرام انَّ من رقي سلَّم الحضارة كهذه الدول يستحقُّ بان يُنعَت بالهمجيّ . ولعلَّ معترضًا يقول : وما بالك تنسى اهل البادية وكيف تستطيع ان تنسبهم الى التمدُّن أفليس الأولى بان يوصفوا بوصف كسرى انوشروان لمَّا عارض النعمان بن المنذر واراد كَسْر زَهْوِه قائلًا (العقد الفريد ١ : ١٢٤) : « لم ارَ للعرب شيئًا من الخير في امر دين ولا دُنيا ولا حزمٍ ولا قوَّة . . . قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذّاتها »

ذلك هو اعتراض اخصام العرب فما قولنا ؟

نجيب أننا لا ننكر انَّ من العرب أمَّةً راحلةً ناجعةً حصونُهم ظهورُ خيلهم ومهادهم الارض وسقوفهم السماء وجُنَّتهم السيوف يرعون الاغنام فيقتاتون من ألبانها ويتَّخذون الاثاث من اوبارها والخيام من اشعارها يتقلَّبون في المجالات انتجاعًا لمراعي غنمهم وارتيادًا لمصالح إبلهم الكفيلة بمعاشهم . الَّا انَّ في هذه العيشة ليس ما يُشعر بالتوحُّش وانَّما هي عيشة الآباء الاوَّلين كابراهيم الخليل واسحاق ويعقوب اذ كانوا يسكنون الخيام ويقومون على رعية المواشي مع ما في هذه العيشة من القناعة والعفاف والسذاجة والبعد عن الترفُّه وبذخ العيش . هذا الى ما عُرف بهِ عرب البادية من الكرم والقيام بامر الضيوف والوفاء بالذمار وحقوق الجوار . ولو شاؤوا للبسوا افضل لباس من كفيَّات الحرير والبرود المزخرفة واحتذوا بنعال السِّبت وسكنوا القساطيط الرحبة والسرادقات العامرة

ثم انَّ لعرب البادية فضلًا آخر لا ينكرهُ عليهم التاريخ وهو انَّ الله جعلهم كتوم وسط لتجارة الامم القديمة . فانَّ قوافلهم العديدة كانت تقطع البيد ذهابًا وايابًا وهي تنقل ثروة الهند وفارس والعراق الى الشام ومصر ومنهما الى العالم اليوناني او الروماني يشهد على ذلك سفر التكوين نفسهُ (٣٧ : ٢٥) اذ يذكر « الاسماعيليين المقبلين من جلعاد وجمالهم محمَّلة نكهةً وبلسانًا ولاذنًا وهم سائرون الى مصر» . فلولا العرب لبقيت تلك الخيرات مكنونةً في بلادها لم ينتفع بها الَّا اصحابها . بل لولاهم لبقيت الشعوب المتباينة منزويةً منفردة مدَّة قرون متوالية

امَّا اعتراض كسرى انوشروان على العرب في امر دينهم فذلك دعوى تعمّ العرب والعجم على حدّ سواء . فان كان عرب الجاهليَّة قد عبدوا الاصنام فان الفرس كانوا يدينون بالمجوسيَّة ويعبدون النار ويسجدون للشمس . وكذلك قُل عن بقيَّة الامم قبل ان تكتحل بنور الايمان القويم . بل عرف العرب الاله الحقّ اكثر من سواهم وذلك لان القبائل المنتمية الى عدنان كانت اخذت عن اسماعيل جدّها الاوّل عبادة الاله الواحد اله ابراهيم ونسلهِ من بعدهِ ثمَّ انَّ قربها من بلاد فلسطين وجوارها لشعب اسرائيل لمَّا ساعدها على حفظ التوحيد ونبذ عبادة الاصنام حتى انَّ كَتَبَة العرب كابن دريد والطبري والنويري يزعمون انَّ العرب كانوا في اوَّل امرهم على دين ابراهيم واسماعيل حتى قدم عمرو بن لحيّ بصنمٍ الى مكة فشاعت ديانة الاصنام بعد ذلك اعني في القرن الثالث او الرابع للمسيح . هذا فضلًا عن قبائل يهوديَّة دخلت بلاد العرب وتوطَّنتها منذ الزمن القديم لاسيَّما بعد جلاء بابل فمنها من سكن اليمن ومنها من نزل يثرب وتيماء . وزد على ذلك انَّ النصرانيَّة دخلت في الجزيرة منذ ايَّام الحواريين فان صاحب اعمال الرسل يذكر العرب في جملة الذين سمعوا تلاميذ الرب يتكلَّمون بلسانهم . وذكر ابن خلدون والمقريزيّ : انَّ متَّى احد الاثني عشر دعا العرب الى النصرانيَّة . وذكر ابن الاثير وابو الفداء بين ملوك الحجاز الاوَّلين عبد المسيح بن بقيلة الجرهميّ . وكذلك ملوك اليمن قد دان منهم بالنصرانيَّة عبد كلال بن عمرو وواقية بن مرثد ذكرهما حمزة الاصفهاني والثعالبي في طبقات الملوك وابن خلدون . ثمَّ ان الكلّ يعلمون تنصُّر اهل نجران واستشهاد الحارث وقومهِ على يد ذي نوَّاس وتملُّك نصارى الحبش على اليمن

واذا اعتبرنا ملوك العراق وغسان رأينا الدين النصراني بينهم منتشرًا حتى كاد يشمل كلَّ رعاياهم. وكذا قل عن كندة وبعض قبائل نجد والحجاز كتغلب وبكر وتميم وتنوخ وقضاعة. وكان النصارى واليهود يحجُّون الى الكعبة مع قبائل الجاهليَّة ذكرًا لابراهيم ويجدون بين اصنام العرب تماثيل الانبياء والملائكة والسيد المسيح والعذراء مريم كما ورد في تاريخ الازرقي اقدم مؤرخ لمكَّة. وترى شعراء النصارى في الجاهليَّة يقسمون معًا بمكَّة والصليب. قال عديّ بن زيد:

سعى الاعداء لا يألون شرًّا عليك وربّ مكَّة والصليبِ

كلُّ ذلك افادنا عنهُ كتبة العرب وهم يؤيدون رواياتهم بالاسانيد الصحيحة التي تُلطِّف شكوى كسرى انوشروان وامثالهِ على قدماء العرب بقلَّة الدين

*

هذه لمحة في احوال العرب في دينهم ودنياهم. ولكن اين الشواهد على آدابهم؟ اين علومهم؟ اين معارفهم؟ وان لم يخلفوا شيئًا من آثار عقولهم فما بالك تطرئ جيلًا عقيمًا مضى ولم يؤسف على هلاكهِ؟

على رسلك أيها العذول دعنا نتصفَّح التاريخ فانهُ مرآة الحقّ وشاهد الصدق

انَّ اقدم تاريخ تتداولهُ ايدي البشر هو بلا مراء الكتاب المقدَّس فانَّنا نجد بين اسفارهِ القديمة سفرًا جليلًا ينطق بآداب العرب وحكمتهم وسموّ مداركهم ومقدرتهم على المعاني البليغة والاوصاف الشعريَّة. ألا وهو سفر أيوب احد بني عوص من شيوخ عرب البثنيَّة. فسواء كُتب هذا السفر بالعربيَّة اصلًا او في لغة أُخرى ساميَّة فانهُ بلا ريب من اجمل آثار العرب التي تأخذ بمجامع القلوب وتسبي العقول بحسنها الفاتن وفي الفصول الاخيرة منهُ اوصاف يعدُّها اشعرُ الشعراء حتى يومنا كامثلةٍ لم يبلغ الكتبة مبلغها كوصفهِ للنجوم والعقاب والتمساح. اسمعوا وصفهُ للفرس: «أأنت الذي تؤتي الفرس قوَّة وتقلّد عنقهُ رعدًا وتوثبهُ كالجراد. انَّ نَفْخ نخيرهِ لهائل. يحفرُ في الوادي ويمرح نشاطًا ويقتحم للقاء السلاح. يضحك على الذُّعر ولا يرهب ولا ينهزم من السيف تُصلصل عليهِ الجعبة وسنان الرمح والمزراق. في هيجانهِ وفورتهِ يلتهم الارض. اذا نُفخ في البوق يقول ها ويستروح القتال عن بُعد ويتنسَّم صياح القوَّاد واللجب»

ولنا في سفر الملوك الثالث وفي اخبار الأيام ما يشهد للعرب بالعقول الراجحة

والبلاغة الفائقة وذلك في ملكة سبإ التي لم تقدَم على سليمان الّا لتختبر حكمتهُ وتعرض عليهِ احاجيها والغازها. وكذلك يذكر سفر الملوك اسماء العرب الذين اشتهروا بحكمتهم على عهد سليمان الحكيم قال: « فاعطاهُ الله (اي سليمان) حكمةً فوق حكمة أيتان الازراحيّ وهيمان وكلكول »

ثم انَّ في الآثار التي وجدها المحدثون في انحاء العرب ما يزيدها اعتبارًا لآدابهم. وعجبًا من ثقوب اذهانهم. منها كتابات اليمن باللغة الحميريّة ومنها الكتابات النبطيّة والكتابات الصفويّة المكتشفة حديثًا والكتابات التدمريّة مع ما وجد هناك من التماثيل والصور والابنية. وليست هذه الآثار سوى قسم صغير بالنسبة الى ما هناك من البقايا النفيسة التي تحول دون ادراكها الخاطر وضروب المشقّات

ولكن يقول قائل هذه الآثار وان جاز عَزْوها الى العرب لم تُكتَب في لغتهم والكلام هنا عن العربيّة فهل يا ترى لعرب الجاهليّة تاريخُ آدابٍ كما للشعوب المتمدنة يخرجهم من حيّز البداوة والتوحُّش كقولنا مثلًا آداب اليونان وآداب الرومان (Littérature grecque, Littérature romaine) هل يوجد مجموعٌ لهذه الاعمال نقف بهِ على ما كان للقوم من توقُّد الفهم وذكاء العقل. ويطلعنا على عاداتهم واخبارهم وافكارهم وما طبعوا عليهِ من الاخلاق الكريمة والسجايا الطيّبة والهمم الشريفة والمنازع البعيدة

قبل جوابنا على هذه الاسئلة لا بُدّ من بعض المقدّمات تنفي من العقول الاوهام الباطلة

اوّلًا انهُ لا يجوز أن تُقاس آداب العرب على آداب الشعوب الآريّة فانَّ للساميّين عمومًا وللعرب خصوصًا آدابًا عُرفوا بها دون سواهم. فهاكم مثلًا العبرانيين فانهُ ما من احد ينكر انَّ الاسفار المقدّسة هي مجموع آدابهم وانَّ فيها شاهدًا جليلًا على عقول انمّتهم ومدارك انبيائهم وعلى فنونهم الكتابيّة نظمًا ونثرًا. مع انَّ هذه الآداب تختلف عن آداب الآريين بشعرهم ونثرهم اختلافًا عظيمًا

ثانيًا ان العرب مع ترقّيهم في الآداب لم يهتمّوا بتدوين اخبارهم وجمع اشعارهم وكتابة مآثرهم الادبيّة كغيرهم من الشعوب. فكانوا اشبه بمن ينثر اللآلئ ويُلقي الدرر

ممَّن يُعنى بنظم القلائد وتاليفها في الاسلاك. وانَّما مثلهم في ذلك كمثل اوميروس الشاعر الذي كان يطوف جهات اليونان فيقصِد القصائد ويشيد في شعرهِ باعمال قومهِ وهو مكفوف اعمى ولم يدوَّن شعرهُ الَّا بعدهُ بزمن طويل. وكذلك عند قدماء الفرنج الشعراء المعروفون بالبَرْد (bardes) وفي القرون المتوسّطة التروبادور (troubadour) والتروفار (trouvère). وكذلك المطبوعون من شعراء العرب فانَّهم كانوا يقولون الشعر عفوًا لا يبالون في الغالب بصيانتهِ في القماطير بل يجترئون بطبعهِ في قلوب بني جلدتهم

ثالثًا ان الكتابة العربيَّة لم تكن شائعة شيوعًا كافيًا لتصون بين العرب هذه الكنوز الادبيَّة وتخلّصها من آفة النسيان. نعم انهُ امكن العرب ان يتَّخذوا الكتابة السريانيَّة او النبطيَّة او الحميريَّة لتدوين آدابهم. ولعلَّهم فعلوا كما ظهر مؤخرًا في كتابة عربيَّة وقف عليها الرحَّالة رينه دوسو (راجع المشرق ٦ : ٩٣) يرقى عهدها الى سنة ٢٢٣ لبصرى التي توافق سنة ٣٢٨ للمسيح. وهي مخطوطة بالنبطيَّة امَّا منطوقها فعربيّ. لكنَّ الجاري عادةً بين الشعوب ان تنفرد الأمَّة بخطها كما تنفرد بلسانها. والحال انَّ الخطَّ العربي لم يسبق الهجرة الَّا زمنًا يسيرًا. وغاية ما وُجد من ذلك كتابتان نصرانيَّتان احداهما كُتبت سنة ٨٣٤ للاسكندر (٥١٢ للمسيح) في مدينة زَبَد قريبًا من الفرات. يستفاد منها اقامة معبد لذكر الشهيدين سرجيوس وباخوس. ووُجدت الاخرى في حرَّان من مدن اللجأ مؤدَّاها ابتناء مشهد على ذكر القديس يوحنَّا المعمدان تاريخها سنة ٤٦٣ لبصرى اي ٥٦٨ للمسيح

فبعد هذه المقدَّمات نقول انَّ لعرب الجاهليَّة آدابًا في النثر والنظم استحقُّوا بها ان يُنظموا في سلك الأُمم المتمدّنة. فانَّ ما صبر منها على صروف الدهر اذا قوبل بآداب بقيَّة الشعوب الساميَّة كالبابليين والفينيقيين والعبرانيين لا يقلُّ عنها شأنًا ولعلَّهُ يفوقها

وان سأل السائل قبل ذكرنا هذه الذخائر الادبيَّة وكيف بلغتنا وقد تقرَّر بان الكتابة لم تشِعْ عند العرب قبل الاسلام. أُجيب: ١ً انَّ العرب عُرفوا في كل آن بقوَّة ذاكرتهم لقلَّة حرصهم على امور العيش ولانصراف افكارهم الى شؤون محصورة فكانوا اذا فقهوا امرًا لا ينسوهُ ولقَّنوهُ اولادهم فحفظوهُ = ٢ً ثم انَّ هذه الآداب لم تكن تآليف مطوَّلة يصعب حفظها وانَّما كانت اقوالًا وجيزة واسجاعًا منسجمة وحكمًا بليغة يسهل على السامعين حفظها في صدورهم فيردّدونها في مسامراتهم ويستشهدون بها في

كلامهم = ٣ وزد على ذلك انَّ كلَّ قبيلة لم تهتمَّ في الغالب الَّا بمفاخرهـا وآداب رجالها وحكم مشاهيرها وقصائد شعرائها. فتخفُّ عليهـا مؤونة الحفظ اذ تنحصر محفوظاتهـا في ذويها = ٤ وكان ايضاً للشعراء رواةٌ يصحبونهم ويعيشون على نفقتهم فكانوا يكفلون بدرس شعر اساتذتهم فيستظهرونهُ ويسيرون في القبائل لينشدوهُ ويعرّفوا فضل صاحبهِ. فانَّ اعشى قيس مثلاً كان روايتهُ يحيى بن متّى. وكانوا ايضاً يلقّنون شعرهم الاماء والقيون فيتغنَّين بهِ. وفي اخبار النابغة شيء من ذلك. فتفهم بعد ذلك كيف حُفظت هذه الآثار الادبيَّة الى ان اخذ بتدوينها رجال من ذوي الفضل والهمَّة في القرن الثاني بعد الهجرة كابي عبيد وابي عمرو الشيباني وابي عبيـدة والاصمعيّ وغيرهم ممَّن طافوا احياء العرب فجمعوا ما امكنهم من هذه السبائك الذهبيَّة ولولاهم لبقيت كالدراري المصونة في اصدافها ولعلَّها ضاعت فُفقدت كما فُقد الكثير منها ممَّا لم تبلغ اليهِ ايدي هؤلاء الائمَّة

فان ثبت ذلك بقي علينا ان نذكر هذه الآثار بالاجمال ونبيّن شيئاً من خواصّهـا فنقول: انَّ العرب يحصرون آدابهم اللسانيَّة باللغة والامثال والحكم والروايات والخطب والتاريخ والشعر ولقدماء العرب في كل هذه الفنون بقايا جليلة وتراث صالح

١ فان باشرنا باللغة لا نظن انَّ احداً يحاجُنا فينكر على العرب معرفتهم للغتهم وكفاهم فخراً بذلك انَّ العلماء بعد الاسلام اذا شكُّوا في فصاحة كلمـةٍ عرضوها على محكّ عرب الجاهلية فسبروها على معيارهم. وبلغ بهم اعتبارهم للغة الجاهليـة الى ان فضَّلوا الذين عاشوا في ذلك العهد على غيرهم. وكان ابو عمرو يقول عن الاخطل الشاعر النصرانيّ الشهير: لو ادرك الاخطل يوماً واحداً من الجاهليَّة ما فضَّلتُ عليهِ احداً. وكان ابو عبيدة يقدّم ايضاً هذا الشاعر لزعمهِ انهُ اشبه بالجاهلية. فبهذه الاقوال دليل لامع على مقام الجاهليَّة عند هؤلاء الائمة من حيث العلوم اللسانيَّة واحكام اللغـة. وان قيل لم يكتب العرب شيئاً في قواعد لغتهم قلنا انَّ اللغـة كانت فيهم غريزةً فلم يحتـاجوا الى تعلُّمها. والطبيعة كما لا يخفى تسبق الصناعة. فلمَّا جاء الاسلام وخاف اهلهُ من ضياع اللغة وضعوا لها قوانين ثابتة بنوها على اقوال قدماء العرب

٢ وممَّا اشتهر بهِ عرب الجاهليَّة الامثال فانهم رأوا فيها وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني قال بعضهم: «اجتمع في المثل اربعة لا تجتمع في غيرهِ من الكلام:

« ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة » ولذلك اخرج العرب كثيرًا من كلامهم على صورة الامثال لأنها اوضح للمنطق وآنق للسمع ولم يسر شيء سَيْرَها حتى قيل: أَسْيَرُ من مثل. والامثال العربيَّة التي ترتقي الى الجاهليَّة تتجاوز بضعة آلاف جمع منها قومٌ من الادباء شيئًا كثيرًا كالميدانيّ في كتابهِ الشهير مجمع امثال الذي نظمهُ بالوزج احد افاضل بلدتنا فطبعهُ اولادهُ طبعًا لم ينقصهُ شيء من وجوه الاتقان. وكالضبيّ في امثال العرب وكالعسكري في جمهرة الامثال وكالزمخشري في المستقصى وغيرهم. ومن اطّلع على هذه الامثال تحقَّق ما طُبع عليه قدماء العرب من حُسن البديهة وحصافة العقل وبُعد مرامي الكلام فتارةً يخرجونها على صورة حكمةٍ كقولهم للصديق الصدوق: انَّ اخاك من اساك. وتارةً على صورة استعارة او تشبيه كقولهم للشيخ الهرم: اكل عليهِ الدهر وشرب. وقولهم لصاحب الامر: أعطِ القوس باريها. وطورًا على وجه تلميح الى رواية مشهورة كقولهم: اشأم من البسوس. وقولهم: كل الصيد في جوف الفرا. وربَّما جعلوها على لسان حيوان كقولهم: يا شاة اين تذهبين. قالت: أجزّ مع المجزوزين. ومثل هذا كثير عند قدماء العرب. وكثيرًا ما يصوغون هذه الامثال شعرًا فتزيد بالقريض حسنًا. قال امرؤ القيس:

البرُّ انجحُ ما طلبتَ بهِ والبرُّ خَيْرُ حَقيبةِ الرَّجُلِ

وقال: اذا المرء لم يُخزَن عليهِ لسانهُ فليسَ على شيء سواهُ بخزّانِ

وكقول عبيد الابرص:

من يسالِ الناسَ يحرموهُ وسائل الله لا يخيبُ

وقولهِ: الخير يبقى وان طال الزمان به والشرُّ اخبث ما اوعيتَ من زادِ

ويقول النابغة:

الرفقُ يمنٌ والاناةُ سعادةٌ فاستأنِ في امرٍ تُلاقِ نجاحا
واليأسُ عمَّا فات يُعقب راحةً ولربَّ مطمعةٍ تعودُ ذُباحا

وقول طرفة:

قد يبعثُ الامرُ الصغيرُ كبيرَهُ حتَّى تظلَّ لهُ الدماء تصبَّبُ

وقولهِ: وانَّ لسان المرء ما لم تكن لهُ حصاةٌ على عوراتهِ لدليلُ

ولو شئنا لاوردنا من هذه الابيات المَثَليَّة الوفًا مؤلَّفةً وكلُّها جزيلة الالفاظ بليغة المعاني. وما قولنا بالامثال على السنة الحيوان فانَّ العرب اجادوا فيها وان لم يلحقوا شأو

بعض المحدثين من الاجانب. فمنها الامثال المنسوبة الى لقمان التي تشبه كلّ الشبه الامثال التي يروونها لايزوب اليونانيّ. ومنها امثال اخرى لطيفة روى منها القدماء لُمعاً بعضها بالشعر وبعضها بالنثر. فدونكم مثل الذئب والخروف كما رواهُ احدهم

وكُنتَ كذئب السوء اذ قال مرّةً لعمروسةٍ والذئبُ غرثانُ مُرمِلُ
لأُمّكِ التي في غير ذنبٍ شتمتني فقالت متى ذا قال ذا عامُ اوّلُ
فقالت ولدتُ العام بل رُمتَ غدرةً فدونك كُلني لا هنا لك مأكلُ

وها كم مثل الثعلب والعنب:

وثبَ الثعلبُ يوماً وثبةً شهوةً منهُ لعنقود عِنَب
ثمَّ لمّا لم يَنَلهُ قال ذا حامضٌ ليس لنا فيهِ أرَبْ

وهذا مثلٌ بالنثر من امثالهم:

قالوا كانت افعى نائمةً فوق جُرزة شوك فحملها السَّيل والافعى عليها. فنظر اليها ثعلبٌ فقال: هذه سفينةٌ لا يصلح لها الّا مثل هذا الملّاح

وقد ذكرنا في مجاميعنا امثالًا من هذا الصِّنف ابرز فيها اصحابها اجود الحكم في قالب الفكاهة واللطف

٣ امّا الحكم فقد نال العرب فيها القسط الاوفى والزند الاورى. وقد اشتهر من حكمائهم قومٌ شاعت بين العرب اقوالهم وضُربت الامثال في حصافة رأيهم منهم اكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميّ وعامر بن ظرب العدوانيّ وغيرُهم كثيرون لا يسعهم الحصر. ولكل منهم حِكَم بالنثر والنظم في كل ابواب الآداب وسياسة النفس والزهد في الدنيا وطلب الامور السامية لو جُمع شتاتُها لكانت عبارةً عن مجلّد بل مجلّدات ضخمة. فمن منكم لا يعرف ابيات زهير الحكمية:

ومن لا يُصانع في امور كثيرةٍ يُضرَّس بانيابٍ ويوطأ بمنسمِ الخ

واسمعوا حكم الافوه الاوديّ:

البيتُ لا يُبتنى الّا على عمدٍ ولا عمادَ اذا لم تَرْسُ اوتادُ
لا يصلحُ الناسُ فوضى لا سراةَ لهم ولا سراةَ اذا جهّالهم سادوا
اذا تولّى سراةُ الناسِ امرَهُمُ نما على ذاك امرُ القوم فازدادوا
تُحدَى الامورُ باهل الرأي ما صلحتْ فان تولّت فبالاشرار تنقادُ

٤ وما قولنا عن روايات الجاهليّة فانّ ابا الفرج الاصفهاني قد ذكر منها عدداً وافياً في كتابهِ الشهير المعروف بالاغاني الذي كان يُغني الصاحب بن عبّاد الوزير عن

منة حمل من الكتب. ومن فضل هذا المؤلف أنهُ اورد هـذه الروايات وقصص اهل الجاهليّة بلفظها الاصليّ ولذلك تراهُ يكثر من الاسانيد الى ان يَصِلَ الى الراوي الاوّل او الراوين الاولين. واذا وجد اختلافاً بين روايتين اثبتهـا حرصاً على فائدةٍ او نكتةٍ تكون فاتت بعض الرواة. وقد انتخب منهُ احد آباء كليّتنا جزئين اودعهما افضل هذه الروايات التي هي حريّة بان تتّخذ كدستور للكتابة وهي ترشـد طلّاب البلاغة الى الاجادة في التعبير عن المقصود والافصاح عن حركات النفس على اختلاف المقامات

٥ امّا التاريخ فانّ العرب قبل الاسلام قد حصروهُ في اخبـارهم وانسابهم وايّامهم. امّا اخبارهم فهي تعمّ كل جهات جزيرة العرب وبعضهـا يرتقي الى خمسمائة او ستمائة سنة قبل الهجرة. وان كانت الاحاديث الخرافيّة قد تسرّبت الى هذه الروايات في بعض الامور فانّ الكتابات المكتشفة حديثاً قد أيّدت جملةً من مزاعمهم. امّا علمهم بالانساب فقد وصفهُ النعمان لكسرى بقولهِ: « ليس احد من العرب الّا يستمّي آباءهُ اباً فاباً احاطوا بذلك احسابهم وحفظوا بهِ انسابهم فلا يدخل رجلٌ في غير قومهِ ولا ينتسب الى غير نسبهِ ». امّا ايّامهم اي وقائعهم وحروبهم فانهم كانوا يحفظونها مفصّلةً لا يفوتهم منها شيء كاسماء فرسانهم واسباب المنافرات ونتيجة كل واقعة وعدد القتلى ينشدون في ذلك الاشعار وتجري بينهم فيها المفاخرات ويُسيّرونها امثالًا لا تغيب مدى الدهر عن خزائن خواطرهم. وليس الروايات السـائرة اليوم كقصّة عنترة وقصّة سيف بن ذي يزن الّا صدى تلك الايّام والاخبار. بل رُبّما حفظ العرب في الجاهليّة شيئاً من تواريخ الامم المجاورة لهم كالفرس والروم والعبرانيين ويشيرون اليهـا في اشعارهم وامثالهم

٦ امّا الخطابة فكان لها عند عرب الجاهلية مقامٌ عالٍ ومنهـا ما كان للدين والزهد وهي المواعظ ومنها ما هو للسياسة والتدبير ومنهـا لبيان المقاصد الشريفة غير انّ ما بلغنا منها مع جزالتـهِ قصيرٌ جدًّا لم يتجاوز بضعة سطور كانّ العرب لم يحفظوا منها الّا لُبابها. ولهم عدّة خطباء مفوّهين ضربوا فيهم المثل بذلاقة اللسان كقسّ بن ساعدة اسقف نجران وكسحبان وائل الباهلي وزهير بن جناب. وهذا مثال اوردهُ ابن دريد لاحد هؤلاء الخطباء اسمهُ مرثد الخير حاول ان يُصلح بين سيّدين تنازعا الشرف:

« اعلما ان التحفّظ وامتطاء المَجاج واستحقاب اللّجاج سيقفكما على شفـا هوّةٍ في تورّدها

بوار الاصلية وانقطاع الوسيلة فتلافيا امركما قبل انتكاث العقْد وانحلال العهد وتشتت الالفة وتباين الهمَّة وانتما في فسحةٍ رافهة وقَدَم واطدة والمودَّة مشريَّةٌ والبُقيا معرَّضة. فقد عرفتم انباء من كان قبلكم من العرب ممَّن عصى النصيح وخالف الرُّشْد واصغى الى التقاطيع ورأيتم ما آلت اليهِ عواقب سوء سعيهم وكيف كان صُيور امرهم فتلافوا القُرحة قبل تفاقم الشأي واستفحال الداء واعواز الدواء فانَّهُ اذا استحكمت الشحناء تفصَّمت عرى الابقاء وشمل البلاء »

وان شئتم خطبةً دينيَّة فاسمعوا ما رواهُ صاحب التذكرة الحمدونيَّة لقسّ بن ساعدة:

« ايُّها الناس الايَّام عِبَر والمرء منسوبٌ الى فعلهِ مأخوذ بعملهِ فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد واستشعروا الجدّ تفوزوا بهِ. اتَّقوا الله يا عباد الله وانتم في مَهَل بادروا الاجلّ ولا يغرَّنكم الامل فكأنَّ بالموت وقد نزل فشغلت المرء شواغلُهُ وتُركت عنهُ بواطلُهُ وخيَّأت اكفانهُ وبكاهُ جيرانهُ وصار الى المنزل الخالي بجسدهِ البالي قد فارق الرفاهية واعتاض عنها الداهية فوجههُ في التراب عفير وهو الى ما قَدِم فقير. اعلموا انَّ الماضي عظةٌ للباقي فلا تجعلوا الغرور سبيل العجز فتنقطع حجتكم في موقف الله سائلكم ومحاسبكم على ما اسلفتم فانَّ اعمالكم تُطلق ابدانكم »

الَّا انَّ كل هذه الآثار الادبيَّة كلا شيء اذا قسناها بما ابقاهُ لنا العرب من شعرهم وذلك انهم كانوا يرون في الشعر من المزايا ما يحملهم على تقديمهِ وتفضيلهِ لما فيهِ من الوزن وانتقاء الألفاظ وحُسن الوقع في القلوب. وكان من مذهبهم انهُ اذا نبغ فيهم شاعر اقاموا لهُ الافراح واولموا الولائم وتباشروا بهِ لانهم يُعدُّونهُ حمايةً لاعراضهم وذبًّا عن احسابهم وتخليدًا لمآثرهم. واشارةً لذكرهم. اما آثار شعراء الجاهلية فانَّها بالغةٌ لا يفي بها احصاء. اخبر صاحب الاغاني (٥ : ١٦٤) قال:

انَّ الخليفة الوليد بن يزيد سأل حماد الراوية كم مقدار ما تحفظ من الشعر. قال: كثير. ولكنّي أُنشدك على كل حرفٍ من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطَّعات ومن شعراء الجاهليَّة دون شعر الاسلام. قال: سأمتحنك في هذا وامرهُ بالانشاد فانشد الوليد حتى ضجر ثم وكل بهِ من استحلفهُ ان يُصدقهُ عنهُ ويستوفي عليهِ فانشدهُ الفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين واخبر الوليد فامر لهُ بمائة الف درهم »

ويخبر عن ابي بكر الخوارزميّ انهُ قصد الصاحب بن عبَّاد وقال لحاجبهِ: قل لسيِّدك انَّ على الباب احدَ الادباء يستأذن في الدخول. فارسل اليهِ الصاحب يقول: قد الزمتُ نفسي ان لا يدخل عليَّ من الادباء الَّا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب. فخرج اليهِ الحاجب واعلمهُ بذلك فقال لهُ ابو بكر: ارجع اليهِ وقُل لهُ هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء؟ . فدخل الحاجب واعاد

على الصاحب ما قال. فعرفهُ الصاحب وسُرَّ بهِ »

فترون أيُّها الكرام كم كانت واسعةً تركة اهل الجاهليَّة. وقد بقي لنا من هذه الكنوز بعض أسفار جمعها قوم من ذوي النخوة والحميَّة منها جمهرة اشعار العرب لابي زيد القرشيّ ضمَّنها تسعاً واربعين قصيدةً جعلها سبعة اسماط أوَّلها المعلَّقات ثمَّ المجمهرات ثم المنتقيات ثمَّ المذهَّبات ثمَّ المراثي ثمَّ المشوبات ثمَّ الملحمات. ومنها المفضَّليات التي اختارها في القرن الثاني للهجرة ابو عبد الرحمان المفضَّل بن محمَّد الضبّي انتخبها للخليفة المهديّ بن المنصور العبَّاسي. فيها نيّف و١٣٠ قصيدة لم يُنشر منها بالطبع الَّا قسم صغير ومنها الاصمعيَّات وهي ٧٢ قصيدة جمعها الاصمعي ففي خزانة كتب ڤينَّة نسخة منها. ومنها ايضاً حماسة ابي تمَّام الشهيرة في عشرة ابواب ونحو خمسمائة قصيدة او قطعة قيل في جامعها انهُ في مجموعهِ هذا هو اشعر منهُ في شعرهِ. وقد عارضهُ البحتري بحماسة تُعرف باسمهِ منها نسخة في خزانة كتب ليدن قسمها الى ١٧٤ باباً ضمَّنها اشعاراً لنحو خمسمائة شاعر اكثرهم من الجاهليَّة. وعارضهما ابو الفرج البصريّ في حماستهِ المعروفة بحماسة البصريين ومنها نسخة في المكتبة الخديويَّة. وكذلك جمع السكَّري شعر الهذليين وقد نُشر مجموعهُ بالطبع في اوربَّة. وزد على ذلك قصائد اهل الجاهليَّة التي رواها صاحب الاغاني وهي تبلغ نحو ستمائة قصيدة. ثم انَّ لشعراء الجاهليَّة دواوين عديدة يُعرف منها فوق مائة ديوان برز منها بالطبع نحو نصفها. الَّا انَّ هذه البقايا مع كثرتها كلا شيء اذا قيست بما فُقد منها ولنا على ذلك دليل في الشواهد التي يستشهد بها الادباء واصحاب المعاجم وهي ابيات متفرّقة من قصائد عامرة الابيات اخذتها ايدي الضياع

امَّا معاني هذه القصائد ومبانيها ومواضيعها فانَّها تشمل كل اغراض الكتابة كالمدح والهجو والرثاء والاعتذار والفخر والحماسة والاغراء والزهد والاوصاف المتنوّعة ولو ذكرتُ من كلّ صنفٍ مثلاً لتحكموا عن بلاغتها التي لا يأنفها بلغاء عصرنا مع تقدُّمنا في اسباب الحضارة لطال بي الكلام الى حدّ السأم

فان طلبتم ديناً أحلتكم الى ديوان اميَّة ابي الصلت حيث جاء قولهُ :

مليكٌ على عرش السماء مهيمنٌ لعزَّتهِ تعنو الوجوهُ وتسجُدُ
عليهِ حجابُ النورِ والنور حولهُ واغسارُ نورٍ حولهُ تتوقَّدوا الخ

وان اردتم زهدًا ذكرتُ نبذًا من ديوان عديّ بن زيد كقوله:

أيها الشائمُ المفلَّلُ أبصِر أنْ تكون البادرَ المَبْدورا
كم ترى اليومَ من صحيح معافًى وغدًا حَشْوَ ريطةٍ مقبورا
اينَ ابنَ الفرارُ مما سيأتي لا أرى طائرًا نجا أن يطيرا
لا ارى الموت يسبق الموتَ شيء نغّص الموت ذا الغنى والفقيرا

ولنا في المدح قصائد رنّانة للنابغة وطرفة. ومن يجهل اقوال زهير في هرم بن سنان واسمع النابغة يمدح غسّان:

لهم شيمةٌ لم يُعطِها الله غيرَهم من الجودِ والاحلام غيرِ عوازبِ
مجلّتهم ذات الاله ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ الخ

وما احسن اعتذارهُ الى النعمان

أُنبئتُ انَّ ابا قابوس اوعدني ولا قرار على زأرٍ من الاسد الخ

ومن احبِّ المراثي وجد في الخنساء ما يحرّك العواطف على فَقد الاحباب (راجع ديوانها)

ومن شُغف بالاغراء وجد في خطبة ابي اذينة احسن مثال اذ اغرى الاسود على قتل اسرى غسان (راجع مجاني الادب ٦: ٥٦)

ما كلَّ يومٍ ينال المرء ما طلبا ولا يسوّغهُ المقدارُ ما وهبا الخ

وكذلك ابيات عفيرة تغري قومها على الاخذ بثارها (راجع علم الادب ٢: ٦٣)

اما الفخر والحماسة فانّ كتب العرب مشحونة بها اطلب مثلًا شعر المتلمس يردُّ على من عيّرهُ امَّهُ (راجع المشرق ٦: ٢٨)

فما قولكم أيها السادة اترون انَّ هذه المعاني من سقط المتاع. أُينكر فضل اهل الجاهليَّة. او ليس الاحرى بان نفتي بتقدُّمهم. وان قيل انَّ المتأخرين الطف صنعًا وارقّ نسجًا اجبنا مع بديع الزمان وحمّاد الراوية وابي عبيد انَّ المتقدّمين ماء الاشعار وطينتها وكنز القوافي ومدينتها يقولون الشعر عفوًا بلا تصنُّعٍ ويحيدون عن الحشو والهُجنة وهم مع ذلك اشرف لفظًا واكثر من المعاني حظًّا. وما مَثَل المتقدّمين والمتأخرين الّا كما قال ابن الرشيق في كتاب العمدة: «وانّما مثَل القدماء والمحدثين كمثَل رجلين ابتدأ هذا بناء فاحكمهُ واتقنهُ ثم اتى الآخر فنقشهُ وزيّنهُ فالكلفة على هذا ظاهرة وان حَسُن والقدرة على ذاك ظاهرة وان خَشُن» فنعم القول وبهِ نختمُ كلامنا لأنهُ يبيّن لاهل زماننا ما للمتقدّمين من الخصائص التي تفرَّدوا بها ويمكن المحدثين الانتساء بها

فتشبَّهوا ان لم تكونوا مثلهم إنَّ التشبُّهَ بالكرام فلاح